واستقر فيها ، وتولى حكمها بأمر الشعب المصرى الذى رشحه وزكاه ، ولما استقر فى الحكم ، قلب للشعب ظهر المجن ، وظل يحكمه حكما دكتاتوريا بشعا زهاء سبعة وثلاثين عاما عقب مذبحة المماليك الشهيرة سنة ١٨١٠ ، حيث ران على الشعب بعد أحداث هذه المذبحة الرهيبة ، شعور الخوف والاستسلام ولم يجرؤ إنسان مصرى على معارضته حتى موته .

الفرصة الذهبية لإعلان الاستقلال :

كانت الدولة العثمانية فى ذلك الوقت قد ثقلت عليها يد روسيا ، فى حين كانت النمسا تخز جنبها وتدمى جوارحها ، فلم يكن لها مع ذلك فضلة من قوة ، ولا بقية من تفرغ لتنظر إلى أحوال مصر ، وترقب سير الحوادث فيها ، فكان هذا الانشغال ممهدا لدولة من أكبر الدول الحديثة التى قامت بمصر على سيف هذا الحاكم القادر ، فما لبث أن تحين فرصة اشتباك تركيا فى حرب مع روسيا ، حتى جاهر بخلع يده عن طاعة الدولة. وأعلن استقلال مصر ، وامتنع عن دفع الخراج سنة ١٧٦٩ م . (١١٨٣) هـ وعزل الوالى التركى ، ومنع ورود الولاة العثمانيين ، وضرب النقود باسمه منذ تاريخ إعلانه الاستقلال ودانت له مصر ، أقصاها وأدناها .

ولما كانت هذه الخطوة الجريئة من على بك ، ستعرضه لمؤامرات كثير من الخصوم الذين يتسترون بالولاء لدولة الخلافة ، وينتهزون الفرصة للإيقاع به ، فقد أشاع على الملأ أنه اكتشف مؤامرة دبرها السلطان ضده للقضاء عليه بعد ما سمع عن استفحال نفوذه ، وذلك بأنه اكتشف رسالة